أحمد حموده

الشرطي واليقين

ذات يوم من أيام الصيف الحارة كان أحمد في طريقه إلى العمل، وصل إلى أصدقائه واستقلوا السيارة وسلك الطريق الدائرى حول المدينة وكان مزدحمًا بعض الشيء ما بين الوقوف والسير، وفجأة اصطدمت سيارة بأخرى وتوقف الطريق وتكدست السيارات، وفي نفس اللحظة اختلت عجلة القيادة من يديه وأصبحت السيارة تدور بهم يمينا ويسارًا، ورأى الجانب الأيسر من الطريق خالٍ لمسافة فاندفع نحوه، ويقاوم أحمد حتى لا يصطدم بالسيارات المجاورة والواقفة، ويجذب عجلة القيادة بكل قوة، وهناك حالة ذعر داخل السيارة، والتفت بين تدافعها واصطدمت بالحاجز الفاصل بين الطريقين وتوقفت، شهق الجميع أنفاسهم من الصدمة، ودقائق قليلة وحضرت عربة المرور ونزل منها شرطي مندفعا إليهم وكأنه رأى خطأ وجاء ليصلحه أو لينظم الطريق بشدة وحزم، وقال: ما الذي حدث؟ وأشار بيده لسائقي السيارات ليقف الطريق تمامًا واندفع نحوهم، فقال له أحمد: اختلت عجلة القيادة فجأة واختل توازن السيارة وتدافعت يمينا ويسارًا حتى اصطدمت. فقال له الشرطي بصوت غليظ: حركها من هنا. كيف ذلك؟ إنها لا تعمل، ربما حدث بها خلل ما. فاندفع الشرطي تجاهه وكأنه لم يسمع ما قال مستهترا وجذبه بيديه وبدأ بالتشاجر معه وكأن بحوزته لصوص ارتكبوا جرمًا لا يعفو عنه المجتمع ولا يرحمه القانون، بينما يدفع الشرطي عنه اشتبكت يداه بشارات الشرطي فتمزقت، واستمر التشاجر إلى أن أوقفهم من كانوا حولهم وذهب

الشرطي نحو السيارة وركبها وبدأ تشغيلها فكانت لا تعمل، فبدأ يدفع الناقل بقوة بطريقة يفتك غيظه بها، وتأرجحت على الطريق حتى أبعدها إلى الناحية الثانية ورجع، وكثر التطاول بينهم والأصوات المرتفعة والوعود المرهبة، وكثرت الشرطة من كل مكان حولهم حتى تم القبض عليه وتركه الجميع، لا يعلم إلى أين هو ذاهب، ومضت سيارة الدورية، وأثناء سيره يتحدث الشرطي بصوت حاد: هل تعلم ما عقوبة قاطع شارات الشرطة فقط؟ ويرهبه ويخوفه وكأنه يمارس مرضه النفسي لأن ذلك سلوك رجل غير سوي، يسمع كلامه في صمت والشرطي مستمر بأحاديثه، وقطع صمته ردًا عليه بضجر: إذن نحن ذاهبون للتحقيق. ومضى قليل من الوقت وبدأ يفكر أحمد، وسأل نفسه: كيف سأخرج مما أنا فيه الآن؟ ويدور الشرطي بالعربة هنا وهناك، وبدت حالة هدوء داخل السيارة، وفي هذه اللحظات يتخيل أحمد ما سيحدث، وهنا دار حديث بينه وبين نفسه: هل سأفيق من حلم الآن أم هذا حقيقة؟ ازداد صمته لفترة لعله يفيق مما هو فيه، ويترقب ويتأمل ما حدث ويأمل فجأة أن ينتبه لنفسه في مكان آخر ودرب غير هذا، ويتذكر حديث الشرطي حول عقوبة المشاجرة وقطع شارات الشرطة ووعوده المرهبة، وأحس بالخوف وبدا قلقًا وردد في نفسه: هل بات مستقبلي مهددًا أم ما سيحدث؟ وتذكرت كل حياتي وتقلبت صفحات الماضي أمامي وهذه اللحظات التي أمر بها الآن، وكانت بداية مؤلمة، والآن ماذا ستكون النهاية للشاب قاطع شارات

الشرطة؟ هكذا كان يردد في جهاز النداء الآلى للدوريات الأخرى وكأنه حفل الجميع ينتظره. وأنتبه لما أنا فيه الآن وأتأمله لحظات ثم أعود لصفحاتي السابقة، وظللت أفكر بين هذا وذاك ببصيص من الأمل، وكان هناك صوت بداخلي يهمس لي: سأنجوا من ذلك. وظل يؤكد في نفسه بشاهد من الماضي، وقطعت صمته رنات هاتفه فأجاب، وإذا به أحد أصدقائه بالعمل يتفقده: كيف حالك الآن وإلى أين أنت ذاهب؟ الحمد لله، لا أعلم إلى أين تحديدًا، ولكنى سمعته يتحدث أنه ذاهب إلى مركز شرطة الجنوب. فطمأنه وقال له: سيقابلك رجل يعمل بجوار هذا المركز سأحدثه لينتظرك هناك. ورن الهاتف مرة أخرى، أجاب: ألو.. هذه المرة صاحب العمل، قال له في اندهاش: كيف حدث ذلك يا أحمد؟ فلا يقدر أحد أن يفعل مثل ما فعلت. فاستغرب أحمد قائلا: لم أفعل شيئًا. حسنا سيقابلك صديقنا عند مركز الشرطة مع السلامة. وانتهت المكالمة، ولكن فكر أحمد في كلام مديره بالعمل وتذكر كلام الشرطي وازداد قلقه، ويحاول أن يسيطر على نفسه وألا ينفعل ولا ينجرف وراء عقله، ويسير الشرطي في الطريق ويبدو أنه اقترب من مركز الشرطة فشاهد أحمد من الطريق المقابل مبنى أمامه صفوف من السيارات وجوانبه تدور بأسلاك شبكية، فتسارعت دقات قلبه، فالتف بالسيارة ووقف أمام هذا المبنى، ونزل الشرطي وأنزل أحمد، وفي هذه اللحظة جاء الصديق وكان يعمل شرطيًا أيضًا في قسم آخر وصافحهم وأخذ أحمد جانبًا، وكان الشرطي منشغلا

بآخرين ودار بينهم حديث سريع ليحكي له ما حدث، والتفت لهم الشرطي وأقبل عليهم وتحدث مع الصديق وبدأوا التعارف، فأحس أحمد بلحظات اطمئنان ودار حديث جانبًا بين الشرطي والصديق، ويترقبهما أحمد ويرى الشرطي يبدو بلغة جسد غاضبة وهما يتحاوران، فأقبلوا عليه والشرطي يضع يده على شارات الشرطة المنقطعة من البذلة ويحرك رأسه كأنه يرفض محاولة ما، واقتربوا من أحمد وهو يردد: لن أتنازل، سيعرض الأمر على المحقق. وأخذه وصعدوا على الدرج إلى الأعلى حيث مكتب التحقيق، فأوقفهم جانبا وذهب نحو مكتب المحقق، وجده منشغلا بقضية أخرى فخرج ينتظره، واقترب الرجل من الشرطي يكمل حديثه معه، وفى هذه اللحظات المضطربة استند أحمد على الحائط ورفع رأسه إلى أعلى واستنشق نفسًا عميقا يفكر في مخرج، وتجلى صوته الداخلي الذي لازمه منذ لحظات قلقه ليطمئنه، وهمس في نفسه: سأخرج من هنا، أنا لم أخطئ، لن أبقى بهذا المركز لدقائق وكأن غمرته قوة روحية من السماء لتنتشله مما هو فيه وتبعد به بعيدًا، وأصبح أحمد مشبعًا باليقين، وظل يؤكد لنفسه أنه سيخرج من هنا ويردد ويناجي ربه ويزداد يقينا، وبدا على قناعة قوية أنه لن يبقى هنا، وقاطع فكره الشرطي: هيا بنا المحقق ينتظرنا. فترجل نحو المكتب بخطوات ثقيلة، ومع دخول قدمه الأولى رفع المحقق يده: فلتنتظروا قليلا. فرجعوا إلى الوراء وساد القلق المكان، ورجعوا يكملون حديثهم، وفى هذه المرة تغير رد الشرطي فقال له: لن أقدر،

لقد حدثت الإدارة، ليس بيدي شيء الآن. فقال له: إذن سأحدث الإدارة. فأمسك بهاتفه وأخذ الرقم من الشرطي وتكلم مع أحد المسؤولين واعتذر له فاستجاب وقال: ما في شيء، ولكن فلتعتذروا للشرطي أولا. حسنا سنعتذر له. وأخذ الشرطي جانبًا ودار حديث بينهما وقدر لهذه النهاية أن تكون مختلفة، وكأن يقينه تسرب للشرطي ولان لهم ووافق على المصالحة، وحدثت معجزة.. لقد تحولت الأمور عن ما كانت عليه وخرجوا جميعًا من مركز الشرطة، وتصافح أحمد والشرطي وتساوت الأمور وذهب أحمد والصديق نحو الطريق، تحدثا قليلا في الأمر وبدا أحمد في ذهول، وقال له الصديق: هل أوصلك إلى مكان ما؟ فشكره: سآخذ تاكسي. ووقف على جانب الطريق، ظل يفكر في ما حدث وكيف تحقق يقينه بهذه الصورة المذهلة، ودفع ذراعيه فرحًا، لقد تحولت الأمور رأسًا على عقب بمجرد أن أيقنت بالخروج من هنا، إنه سحر اليقين، ظل يردد: اللهم لك الشكر ولك الحمد. وأوقف تاكسي وذهب..